المدوّنة المحوسبة والمعجم التاريخي

د. بتول الربيعي وزارة التربية والتعليم

batool.alrubaiee@gmail.com

الملخّص:

تُعنَى اللسانيات الحاسوبية -التي هي فرع اللسانيات التطبيقية- بتسخير العقل الرقمي لحلّ القضايا اللغوية، أصواتًا وبنيةً، وتركيبًا، ومعجمًا، وقد كان لظهور المدوّنات الحاسوبية اللغوية (Corpus linguistics) الأثر البيّن في دراسة اللغة، وقد انمازت هذه المدونات بسهولة الاستعمال والمرونة والسرعة في الإنجاز، والدقّة، وقد حظي المعجم العربي بعناية هذه المدوّنات، ولا سيّما المعجم التاريخي للغة العربية في الدوحة، فما على الباحث سوى أن يضع اللفظ المراد الحصول على معناه حتى يظهر له التوثيق التاريخي لذلك اللفظ، برصد معانيه منذ أول استعمال له في النصوص والنقوش المكتوبة إلى العصر الحاضر، وهنا تكمن أهمية هذه المدوّنات في التوثيق التاريخي لألفاظ اللغة وتطوُّرها في الأجيال المتلاحقة.

الكلمات المفتاحية: الحاسوب، المعجم، المدوّنة، التاريخ.

Computerized Corpus and Historical Dictionary

Dr. Batool Al-Rubaie
Ministry of Education
batool.alrubiaee@gmail.com

Abstract :

Computational linguistics —a branch of applied linguistics— is concerned with harnessing the digital mind to solve linguistic issues, including phonemes, structure, syntax, and vocabulary. The emergence of Corpus Linguistics has had a significant impact on the study of language. These corpora are characterized by ease of use, flexibility, speed of completion, and accuracy. The Arabic lexicon has received special attention from these corpora, particularly the Historical Dictionary of the Arabic Language in Doha. All a researcher has to do is enter the word whose meaning they want to obtain, and the historical documentation of that word will appear, tracing its meanings from its first use in written texts and inscriptions to the present day. Herein lies the importance of these corpora in the historical documentation of language terms and their development over successive generations .

Keywords: computer, dictionary, Corpus, history.

أوّلًا: تعريف المدوّنة

المدوّنة لغةً: اسم مفعول مشتق من دوّنَ -يدوّنُ- تدوينًا بمعنى كتب، وهو فارسي معرب، استعملها العرب لتدل على الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، والديوان مجتمع الصحف، ويقال: إنَّ الخليفة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه «أوّل من دوّن الدواوين في الدولة

الإسلامية، ودوّنَ الكتاب أي: جمعه ورتبه (ابن منظور 1968، ينظر: مادّة (دوّن)).

وفي المعجم الوسيط، الديوان مجموع شعر شاعر، وكل كاتب والكتبة ومكانهم (المعجم الوسيط، 2004، ينظر: مادّة (دوّن)).

فنلحظ أنَّ المعنى اللغوي لا يخرج عن المعاني الآتية:

الدفتر الذي تكتب فيه الأسماء، المكان الذي يوضع فيه الدفتر أو تجمع فيه الكتب، ويدل على الجمع والترتيب.

أمـّا المدوّنة اصطلاحا، فتعرّفها اللسانيات الوصفية الحديثة بأنـّها «مجموعة معينة من النصوص المكتوبة والمقولة أو مجموعة من المراجع المختارة تؤخذ سندًا لوضع أسس لغة ما أو معجم أو مؤلف في موضوع من الموضوعات، وغايتها منهجية تضبط حدود الموضوع زمانا ومكانا وميدانًا» (الحمزاوي، 1983: 117/ الهامش الأوَّل).

فالمدوّنة على هذا الأساس تشمل المنطوق أو المكتوب من النصوص وقد يتمّ جمع النصوص بصورة عشوائية أو منتظمة كي يتم الاستفادة منها كما فعل اللغويون الأوائل، ويمكن أن نستشف ذلك في مراحل جمع لغتهم إذ مرت بثلاث مراحل (أبو شريفة، 1989، ينظر: 116-117):

1- مرحلة تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها من دون ترتيب معين، وكان السماع من الأعراب والاتصال بهم مباشرة في صحرائهم أو حين قدومهم إلى الأمصار، فألّف أبو زيد الأنصاري كتاب «النوادر».

2- مرحلة تدوين ألفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة محدودة الموضوع مبنية على معنى من المعاني أو حرف من الحروف.

3- مرحلة وضع المعاجم الشاملة المنظمة وأول من وضع معجمًا منظمًا هو الخليل بن احمد الفراهيدي في كتاب (العين).

وقد أطلق الدكتور علي القاسمي على المرحلة الأُولى، استعمال المخبرين اللغويين، والمرحلة الثانية جمع المفردات، والمرحلة الثالثة صناعة المعجم (القاسمي، 2003، ينظر: 27).

ويذكر ابن خلدون (ت818هـ) في مقدمته أنّه لـمَّا فسدت ملكة اللسان عند العرب واستمر الفساد إلى موضوعات الألفاظ، استعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه ميلًا مع هجنة المتعربين، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل، فشمَّر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين (المقدّمة، ينظر: 298/5).

فالمدوّنة يجمعها من كان عالما باللغة، وأشهر من عرف من اللغويين الخليل بن أحمد الفراهيدي ت175هـ، والكسائي 180هـ، والنضر بن شميل 204هـ. والأصمعي ت216هـ، وغيرهم.

وقد أشار الباحث اللساني روبيرمارتان إلى ذلك بقوله «إنَّ المدونات موضوعة وضعا لكنها خاضعة لرقابة متكلّمين أكفاء» (مارتان، 2007: 34).

وقد ذهب الدكتور محمد رشاد الحمزاوي إلى أنَّ ابن منظور (ت711هـ) أوّل من أقرّ ما يسمى بالمرجع اللغوي المكتوب الذي صحت روايته وثبتت في تصنيف معجمه، فهو أوّل من أنشأ معنى المدوّنة للأسباب الآتية (الحمزاوي، 1983، ينظر: 120-122):

1- إنّه استمد مادة معجمه من خمسة من أُمّات الكتب التي جمعت كمّا وكيفا كل مادة اللغة، وقد أشار ابن منظور إلى ذلك مبينًا أنَّ التهذيب للأزهري أجمل كتب اللغة، والمحكم لابن سيده أكملها، وصحاح الجوهري أصحها، وحواشي ابن بري أكثرها تصويبًا، ونهاية ابن الاثير الجزري أحسن تكملة لها.

2- شغل معجمه مساحتين لغويتين متكاملتين وهما المشرق والمغرب العربيين، لأنَّه اعتمد معجما أندلسيًا مغربيًا وهو محكم ابن سيدة الأندلسي حتى يفي بشروط الاستقرار الواسع ويوفر أُسس الإجماع اللغوي بين المجموعتين اللغويتين اللتين تستعملان لغة أدب وعلم وحضارة، وهو بذلك قد تجاوز الحدود المكانية والزمانية في جمع مادة معجمه.

3- إنَّ ابن منظور أوّل معجمي قد أقرّ مبدأ اعتماد الحديث الشريف لغة من اللغات التي يجب أن يرتكز عليها المعجم على الرغم من معارضة جمهور اللغويين استعماله حجة لغوية لأنَّه رُويَ بمعناه دون لفظه، كما أنَّه أوّل من استند إلى النثر ليكون أساسًا من أُسس الاستشهاد.

وبعد ابن منظور توالت المصنفات أتي اعتمدت على المعاجم التراثية ولم يأت المعجميون بكثير مما يمثل اللغة في عصورهم مما انعكس على سير تطور الصناعة المعجمية العربية.

وبناءً عليه أستطيع القول إنّ المدوّنة هي مجموعة النصوص المكتوبة والمنطوقة الموثقة التي تمثل مرجعا مهما للباحثين، ويذكر الدكتور علي القاسمي أنَّ المعلومات التوثيقية عن كل نص، ولاسيَّما في المعجم التاريخي تتناول ما يأتي (القاسمي، 2014، ينظر: 330):-

1- عنوان النص أو عنوان الكتاب الذي اقتطف منه النص.

2- اسم الكتاب وجنسه ذكرًا أم أنثى.

3- تاريخ كتابة النص أو تاريخ ميلاد الكاتب وتاريخ وفاته أو العصر الذي عاش فيه.

4- جنسية الكاتب والبلاد التي ينتمي إليها أو المكان الذي عاش فيه.

5- موضوع النص، والمجال المعرفي الذي ينتمي إليه.

ثانيا: المدوّنة مشترك لفظي:

يبدو أنَّ مصطلح المدوّنة مشترك لفظي له استعمالات عدة، فهناك المدوّنة الفقهية، والمدوّنة القانونية، التي تطلق على مجموعة أحكام قانونية أو فقهية مثل (مدوّنة القانون المدني) و(مدوّنة الأحوال الشخصية) (القاسمي، 2014، ينظر: 306).

والمدوّنة الشابكية «وهي عبارة عن صفحة موقع على الشبكة العنكبوتية (الويب) على الأنترنت تضم عددًا من التدوينات مرتبة من الأحدث إلى الأقدم تصاحبها آلية لأرشفة المدخلات القديمة، ويكون لكُلّ منها عنوان إلكتروني لا يتغير منذ لحظة نشره على الشبكة» (الوردي، 2007: 12).

والمدوّنة الشابكية مصطلح جديد وهي تعريب لكلمة (Weblog) في اللغة الانكليزية وأُدخلت لأوّل مرة إلى معجم أكسفورد عام 2003م وتعني مدوّنة شخص أو مؤسسة على شبكة الأنترنت (الشافعي، 2014: ينظر: 59).

أمَّا المدوّنة في سياق لسانيات المدوّنة (Corpus linguistics) فيراد بها المدونات اللغوية المحوسبة وهي أحد فروع اللسانيات التطبيقية التي تهتم بالإفادة من معطيات الحاسوب في دراسة قضايا اللسانيات المتعددة مثل رصد الظواهر اللغوية وفقا لمستوياتها الصوتية والنحوية والبلاغية والعروضية، وتهدف كذلك إلى معالجة وتحليل الظواهر اللغوية وصناعة المعاجم والترجمة، وتعليم اللغات، وإجراء التحاليل على السياقات اللغوية المتعددة واستعمال الحاسوب يكفل الدقة العلمية والسرعة وتوفير الجهد (الوعر، 1989، ينظر: 23-25).

فاستعمال الحاسوب سيسهم في تطوير البحوث اللغوية من جوانبها المتعددة ومن خصائصه الدقة والسرعة والسهولة. فبعد التطور العلمي والتقني والاعتماد على الحاسوب في المعالجة الآلية للنصوص، أصبح مفهوم لسانيات المدوّنة مرتبط بالحاسوب، فالغاية الأساسية من حوسبة النصوص إنَّما تكمن في إجراء البحوث اللغوية عليها؛ لذا نجد في معجم مصطلحات علم اللغة الحديث يضع المقابل العربي لكلمة (corpus) «عينة البحث اللغوي» (مجموعة مؤلفين، 1983: 14). وفي معجم علم اللغة النظري نجد المقابل العربي لها «مادة لغوية» ويعرّفها بأنـَّها «الأقوال المحكية أو المكتوبة التي يعتبرها الباحث هدفا للتحليل اللغوي أو مصدرًا للبيانات اللغوية» (الخولي، 1983: 60).

وهذا يعني أنَّ مصطلح المدوّنة مصطلح حديث جدا لم تذكره المعاجم القديمة والحديثة، «وأوّل معجم استعمل هذا المصطلح هو المعجم الموحد لمصطلح اللسانيات وعرفها بأنـَّها «ما يشكل الرصيد اللغوي أو مجموع المعطيات اللغوية التي يخضعها الباحث للتحليل والدرس» (القاسمي، 2014: 306).

لقد أطلق اللغويون الأمريكيون اسم لسانيات المدوّنة المبكرة (Early corpus linguistic) على البحوث اللسانية التي استخدمت المدونات اليدوية أمَّا مصطلح لسانيات المدوّنة فيحتفظون به لنعت دراسة المدونات الحاسوبية الإلكترونية (القاسمي، 2014، ينظر: 311).

وأرى أنَّ لسانيات المدوّنة قد مرت بثلاث مراحل:

1- المرحلة الأولى، تمثلت بالنصوص المكتوبة ورقيًا التي أطلق عليها الأمريكيون (Early corpus linguistic).

2- المرحلة الثانية، التي تخزن بالحاسبة وتعالج آليًا (Corps linguistic).

3- المرحلة الثالثة، التي تنشر على الشابكة الأنترنت فعند تصفح الأنترنت فكم مدوّنة لغوية ستظهر لنا واستطيع ان اطلق عليها (Web corpus linguistics).

كذلك أصبح بإمكان الباحث أن يطّلع على العديد من المعاجم الاحادية اللغة والثنائية اللغة ومعاجم الترجمة الآلية وغيرها عبر شبكة الأنترنت.

وعليه فإنّ التعريف الذي يمثّل تعريفا جامعًا شاملًا ـ كما أرى ـ لمفهوم المدوّنة هو تعريف الدكتور علي القاسمي بأنـّها «مجموعة من النصوص تمثل اللغة في عصر من العصور أو في مجال من مجالات استعمالها، أو في مستوى من مستوياتها، والمدوّنة إمـّا أن تجمع يدويًا وتقرأ، وإمـّا تخزن في الحاسوب وتعالج وتقرأ إلكترونيًا» (القاسمي، 2014، ينظر: 306-307). فقد جمع في تعريفه بين مفهوم المدوّنة قديمًا وحديثًا.

ثالثًا: مكونات اللسانيات الحاسوبية:

تتألف اللسانيات الحاسوبية من مكونين مهمين:

1- المكون النظري؛ «ويعني بقضايا في اللسانيات النظرية الصورية، تتناول النظرية الصورية للمعرفة اللغوية التي يحتاج إليها الإنسان لتوليد اللغة وفهمها» (موسى، 2000: 54).

2- المكون التطبيقي؛ «وأوّل عنايته بالناتج العلمي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة، وهو يهدف إلى إنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية، وهذه البرامج ممَّا تشتد الحاجة إليه لتحسين التفاعل بين الإنسان والآلة، إذ

إنَّ العقبة الأساسية في تحقيق هذا التفاعل بين الإنسان والآلة إنـَّما هي عقبة التواصل» (موسى، 2000: 53).

فالجانب النظري يعنى بكيفية عمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغوية كالترجمة الآلية من لغة إلى أُخرى وإنَّ هذا الجانب أقل أهمية من الجانب التطبيقي؛ لأنَّ الجانب التطبيقي سينطلق من البسيط إلى المعقد المتمثل بالعمليات الرياضية الخوارزمية (الوعر، 1988، ينظر: 407).

وترمي اللسانيات الحاسوبية إلى وضع نظام آلي لمعالجة اللغة الطبيعية ولذلك فإنـَّها تحتاج إلى مدوّنة لتطبيق هذا النظام ومن هنا تتداخل اللسانيات الحاسوبية مع لسانيات المدوّنة في بعض ميادين البحث (القاسمي، 2014، ينظر: 314). فكلاهما يقوم على الآخر ولا يمكن فصلهما فاللغة المكتوبة والمنطوقة عندما تعالج آليا تصبح جزء من اللسانيات الحاسوبية لذلك فإنّ مفهوم لسانيات المدوّنة أصبح مرتبطًا ارتباطًا وثيقاً بالحاسوب.

رابعًا: فوائد المدوّنة اللغوية:

هناك جملة من الفوائد يمكن جنيها من المدوّنة اللغوية وتتمثل في (القاسمي، 2014، ينظر: 319)[1]:

1- تبسيط الإملاء العربي، والوقوف على أشهر الهفوات الإملائية.

2- حصر المفردات الفصيحة والتراكيب الأكثر تداولا بهدف تطوير تعليم اللغة العربية بالمؤسسات التربوية.

3- تحديد المفردات الشائعة بالذخيرة اللغوية العربية.

[1] نقلًا عن مدوّنة عدنان عيدان المسماة بـ(نظام بنك اللُّغة العربية).

4- استثمار المدوّنة في بناء المعاجم العامة والمختصة والتاريخية.
5- دراسة مفردات اللغة العربية وبنياتها ونحوها.
6- تيسير المعالجة الآلية للغة العربية تحليلًا وتوليدًا.
7- الترجمة الآلية لمفردات اللغة وتراكيبها بتوظيف النحو المقارن.
8- تزويد الدراسين بالمصادر العلمية المختلفة.

خامسًا: تشومسكي ولسانيات المدوّنة:

بعد ظهور النظرية التوليدية التحويلية على يد نعوم تشومسكي عام 1957م انتقلت الدراسات اللسانية من الوصفية إلى العقلانية. فالوصفية في نظره شكلية سطحية لم تعر اهتماما إلى القدرة الذهنية الكامنة في الإنسان وهذا يعني أنَّ اللساني يكاد أن يتعامل مع الإنسان بوصفه آلة تتحرك بحسب قوانين تحددها مواقف معينة، وما على الباحث إلاَّ أن يطبق إجراءات معينة للكشف عن هذا السلوك الإنساني (الراجحي، 1979، ينظر: 112).

لقد ميّز تشومسكي بين ثنائيتين (القدرة اللغوية مقابل الإنجاز) و(البنية العميقة مقابل البنية السطحية).

والمراد بالقدرة اللغوية، «المعرفة اللغوية التي يدخلها كل فرد متكلم بلغة معينة في شكل قواعد، وتمكنه من إنتاج ما لا حصر من الجمل النحوية التي لم يسبق أن أنتجها، ومن فهم جمل لم يسبق له أن سمعها» (غلفان والملاخ وإسماعيل، 2010: 41).

فالقدرة تمثل مجموعة القواعد الضمنية، أمَّا الإنجاز فيمثل التطبيق الفعلي لقواعد القدرة وآلياتها، فهو التحقيق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكها الفرد المتكلم عن لغته لكنه لا يطابق دائما القدرة الضمنية التي تتسم بطابع التجريد العام، فهناك مجموعة من العوامل التي تتدخل في الانجاز

مما يؤدي إلى عدد من التغيرات بصورة متفاوتة (غلفان والملاخ وإسماعيل، 2010، ينظر: 43).

والقدرة اللغوية تمثّل البنية العميقة للكلام، أمّا الإنجاز فيمثّل البنية السطحية. وقد شبه اللساني (لوتز) هذه البنيات بجبل الجليد العائم فما ظهر منه يمثل البنية السطحية ومالم يظهر منه يمثل البنية العميقة (زوين، 1986، ينظر: 46).

ويرى تشومسكي أنَّ مهمة اللغوي هي استنباط نموذج اللغة من القدرة اللغوية لدى المتكلمين، وليس من الأداء أو الإنجاز الذي هو بمثابة مرآة غير مصقولة للقدرة اللغوية، فهذه القدرة اللغوية هي التي تمثل معرفتنا الذاتية باللغة، وينبغي استخلاص القواعد منها (القاسمي، 2014، ينظر: 316).

ولهذا فإنَّ تشومسكي انتقد البنيويين الذين اعتمدوا على المدوّنة اللغوية على اعتبار أنَّ المدوّنة لا تمثل القدرة الكامنة في أذهان الأفراد، فالمدوّنة في نظره تشتمل على أخطاء كثيرة نتيجة الأداء الخاطئ أحيانًا. فجوهر اللغة يكمن في القدرة لا في الأداء الذي يتعرض للخطأ والتشويه (القاسمي، 2014، ينظر: 317).

فلم يحبذ تشومسكي إنشاء مدوّنة لغوية ولكنه أقرّ ما يسمى بالحدس اللغوي، والمراد به «قدرة متكلم اللغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث إنـّها تؤلف جملا صحيحة أو جملًا منحرفة عن قواعد اللغة» (زكريا، 1986: 9).

ومن هنا، فإنَّ الحاسوب ليس له قدرة على الحدس، فهو يعتمد على البرامج التي تودع فيه دون إحساس أو شعور، فإنّه يقدر الأُمور بمقتضى البرامجيات (استيتية، 2005، ينظر: 547).

إنَّ تشومسكي رفض المدوّنة اللغوية -كما أرى- للأسباب الآتية:

1) إنّه اعتنى بعقل الإنسان وخزينه اللغوي، وقدرته على الخلق والإبداع.

2) إنّ المدوّنة اللغوية لا تمثل المخزون اللغوي عند الأفراد أو تمثل القدرة الذهنية لديهم.

3) إنّ المدوّنة لا تمتلك الحدس اللغوي الذي أقرّه تشومسكي؛ لأنَّ هذا الحدس مختص بالإنسان وليس بالآلة، والمدوّنة اللغوية تسعى إلى الوصول إلى نتائج علمية موضوعية بعد معالجتها آليًا بعيدًا عن الحدس والتخمين.

وعلى الرغم من أنَّ هذه الانتقادات التي وجهت إلى المدونات اللغوية فلا يمكن إغفال أهميتها، بل إنَّ لها قدرات تفوق أحيانًا قدرات البشر متمثلة بسعة الذاكرة وسهولة استرجاع المعلومات عند الحاجة.

كذلك تستخدم المدوّنة المحوسبة لدراسة القدرة اللغوية والأداء اللغوي كما تكشف عنها البيانات التي جمعت في سياقات طبيعية (القاسمي، 2014، ينظر: 317).

كذلك صممت بعض البرامج لجعل الحاسوب أداة طيعة بأيدي مستعمليه كبرامج تصحيح الأخطاء الإملائية، وتنسيق الكتابة، وغيرها من المميزات التي تتمتع بها المدونات اللغوية. لذا «يجب الاستفادة من إمكانيات الحاسوب وأن ينظر إليها كأجهزة بديلة Prothese social لتحل محل البشر وسط المجتمعات البشرية» (أورو وديشان وكولوغلي، 2012: 431).

إذ إنَّ من الصعب الحصول على مطابقة تامة بين المدوّنة المحوسبة وبين الإنسان، في المقابل نجد الصعوبة نفسها في الإنسان نفسه، فليس

هناك مطابقة تامة بين القدرة اللغوية وبين الأداء الكلامي لديه، لذا فإنَّ اللغويين لم يأبهوا بما قاله تشومسكي ومضوا في تصنيف المدونات والاستفادة من معطيات الحاسوب قدر ما أمكن.

سادسًا: أهمية المدوّنة المحوسبة في صناعة المعجم التاريخي:

الحاسوبية «هي نموذج علوم معرفية تنظر إلى الفكر تبعا لنموذج الحاسوب كما لو كان نظامًا معلوماتيًا، وتبعا لهذه الفرضية، يعتبر الدماغ آلة تعالج المعلومة، والفكرة هي سلسلة من العمليات الرياضية والمنطقية البسيطة التي تتوالى بحسب نظام محدد» (دورتيه، 2011: 329).

على المستوى المعجمي فمعطيات استفادته من الحاسوب واسعة جدا. فالمعجم الحاسوبي يمكنه أن يجمع كل مفردات اللغة ولا يفرق بين المعجم الكبير والصغير، ويمكنه أيضًا أن يدمج معجم الألفاظ ومعجم المعاني، ويستطيع إضافة الهجاء الصوتي إلى المداخل، واستعمال إمكانات متعددة في شرح المعنى، والسعي إلى إبرازه بأوضح صورة ممكنة كاستعمال الصور والوسائط الفلمية والكارتونية والمناظر الحية، كما يمكنه استعمال النماذج السياقية المتعددة لوضع المدخل في سياق من دون أن تؤثّر في حجم المعجم (مدكور، ينظر: 184).

«فعن طريق البرامج المحوسبة لدراسة الأصوات نستطيع أن نفهم خصائصها والظواهر الشائعة فيها وغير الشائعة، وعن طريق البرامج المحوسبة كذلك نستطيع ان نبني معجمًا لغويًا شاملًا يكون أكثر تنظيمًا ودقة من المعاجم الموجودة، ويمكن تصميم برامج لدراسة الظواهر الصرفية والتركيبية والدلالية في العربية» (استيتية، 2005: 530-531).

لقد أسهمت الحاسبات الإلكترونية في حل أغلب القضايا المعقّدة في الصناعة المعجمية، فمثلًا في قضية الترتيب أرى أنـّها أخذت بالزوال، فما على الباحث إلاَّ أن يدرج الكلمة المراد البحث عنها، فيظهر له الحاسوب كُلّ المعلومات المتعلّقة بها، من دون الحاجة إلى التقليب في صفحات المعجم أو معرفة كيفية ترتيبه.

ونظرًا لأهمية المدوّنة الحاسوبية في الصناعة المعجمية عموما وفي صناعة المعجم التاريخي على وجه الخصوص، فقد خصها الدكتور علي القاسمي باهتمام شديد، وجعلها الخطوة الرابعة من خطوات تصنيف المعجم التاريخي، ونراه يحيل إلى طريقة أُستاذه «هندرسن» الذي يدعو إلى إحلال التعليم بالحاسوب محل التعليم التقليدي محتجا بقوله: «إنّ الإبقاء على المعلم والسبورة في ميدان التعليم هو بمثابة الإبقاء على الفلاح والمحراث اليدوي في الميدان الزراعي، وإنَّ ميكنة التعليم أضحت عملية واجبة كميكنة الزراعة بالضبط» (القاسمي 2008: 624).

وتتجلى مميزات مدوّنة المعجم التاريخي وكما حددها الدكتور علي القاسمي بقوله: «هي مدوّنة حاسوبية أُحادية اللغة، مكتوبة باللغة العربية الفصيحة المشتركة في جميع الأقطار العربية، يبلغ عدد كلماتها حوالي مليار كلمة، وتنتقى مصادرها بصورة متوازنة لتمثل جميع مجالات المعرفة وجميع مناطق استعمال اللغة العربية خلال عصورها المختلفة» (القاسمي، 2014، ينظر: 339).

فالمعجم التاريخي المحوسب للغة العربية سيكون هوية الأمة وذاكرتها اللغوية والثقافية والحضارية لأنـّه سيحتوي على المؤلفات التراثية والمعاصرة.

ويرى الدكتور حسين نصار أنّه إن استطعنا تغذية الحاسبات الإلكترونية بالتراث العربي كله، أرّخنا للكلمات وإن أرّخنا للكلمات أرّخنا للغة وإن أرّخنا للغة أرّخنا للفكر العربي، فعندما نطلب من الحاسبات أن تعطينا كلمة، فسوف تعطينا الكلمة في استخداماتها كلها ومصنفة على الأقطار ومرتبة على السنوات. وما علينا إلا أن نتبع معانيها إن تعددت ونبيّن الاختلاف بينها إن تغايرت (نصّار، 1986، ينظر: 38).

فالمعجم التاريخي سيكون معجمًا مفتوحًا؛ لأنّه سيكون قابل للتحديث وأرشفة المدخلات لمواكبة متطلبات التطور اللغوي وهو بذلك يخالف جميع المعاجم العربية السابقة.

أمّا عن أهمية المدوّنة في المعجم التاريخي المختص فيمكن إجمالها بالآتي (القاسمي، 2014، ينظر: 337-338):

1- التعرف على المعلومات الإحصائية الخاصة بتسمية مصطلح معين في النصوص العامة وفي النصوص الخاصة بالعلم الذي يستعمل هذا المصطلح ونسبته كذلك في مجموع المصطلحات العلمية.

2- التعرف على المعلومات الخاصة بتاريخ العلوم، عن طريق فحص المصطلح الواحد في عصور مختلفة ومراقبة خصائص مفهومه أو عن طريق فحص المفهوم الواحد ومجموعة المصطلحات المعبرة عنه.

3- التعرف على المعلومات الخاصة بعيوب المصطلح مثل كشف هذه المعلومات عن الازدواجية المصطلحية، والمشترك اللفظي والترادف المصطلحي وكيفية التخلص من هذه العيوب.

4- معلومات تتعلق بشكل المصطلح، أي هل سيكتب المصطلح بشكل واحد؟ وأيّهما أشيع أوكسجين أو أكسجين؟

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ المعجم التاريخي يتناول اللغة الفصيحة من الجاهلية إلى العصر الحاضر بل وحتى المدة التي سيستغرقها تأليف المعجم على حد تعبير الدكتور علي القاسمي (القاسمي، 2014، ينظر: 347-348)، فلنتصور معجمًا تاريخيًا من دون مدوّنة محوسبة فكم سيكون سمكه؟ وكم ستكون عدد مجلداته؟ وكم سيتطلب وقتا وجهدًا لاستخراج المعلومة منه؟ فلا وجود لمعجم تاريخي بلا مدوّنة محوسبة.

ويمكن تلخيص ما سبق بالنقاط الآتية:

1- لا يختلف مفهوم المدوّنة لغويا واصطلاحيا فكلاهما متعلق بالجانب التطبيقي، كما لا يختلف مفهومها قديما وحديثا سوى أنَّها كانت ورقية ثم أصبحت إلكترونية.

2- إنَّ المدونات في سياق لسانيات المدوّنة تطلق على المدونات اللغوية المحوسبة.

3- إنَّ توظيف اللسانيات الحاسوبية في الصناعة المعجمية قد ذلل الكثير من الصعوبات التي واجهها المعجميون الأوائل في تأليف معاجمهم وأصبح بالإمكان تصنيف أنواع متعددة من المعاجم بالاعتماد على الحاسوب.

4- إنَّ سهولة استعمال المدوّنة اللغوية ودقتها وسرعتها، قد دفعت الباحثين والمختصين إلى إنشائها، ومهدت السبيل للتعامل مع هذه التقنية لمواكبة التطور السريع الذي يشهده العالم، والإفادة من إمكانيات الحاسوب في مختلف جوانب المعرفة.

5- ان مصطلح المدوّنة مشترك لفظي له استعمالات عدة، فالمدوّنة الفقهية تطلق على مجموعة الأحكام الفقهية، والمدوّنة القانونية تطلق على مجموعة الأحكام القانونية، والمدوّنة اللغوية تطلق على النصوص اللغوية

المكتوبة والمنطوقة، والمدوّنة الشابكية تعني مدوّنة شخص أو مؤسسة على شبكة الأنترنت.

سابعًا: «بنية مدوّنة المعجم التاريخي للغة العربية»

في بنية مدوّنة المعجم التاريخي يقترح الدكتور علي القاسمي عددا من المعايير هي:

1- التوزيع الموضوعي:

يقترح الدكتور علي القاسمي أن تتألف مدوّنة المعجم التاريخي من بليون كلمة، وأن تُقسَّم على عشرين مجالًا موضوعيًّا، وكل مجال يقسم إلى مجموعة من المجالات المختصة. فمثلًا إنّ المدوّنة الخاصة بمجال الرياضة، تُقسَّم على مجالات عدّة مختصة مثل كرة القدم وكرة السلة...إلخ، ويبين الجدول الآتي التوزيع الموضوعي لمكونات المدوّنة، وعدد الكلمات ونسبته من مجموع المدوّنة (القاسمي، 2014، ينظر: 347).

ت	المجال الموضوعي	عدد كلماته بالمليون	% من المجموع
1	الدين الإسلامي	220	22
2	الآداب	190	19
3	لغة الإعلام	150	15
4	العلوم الاجتماعية	75	7.5
5	الرياضة	66	6.6
6	العلوم الدقيقة والطبيعة	60	6
7	الطب والصيدلة والبيطرة	58	5.8

8	القانون	52	5.2
9	الفنون الجميلة	44	4.4
10	الاقتصاد وإدارة الأعمال	36	3.6
11	الإنسانيات	35	3.5
12	الحاسوب	29	2.9
13	الأديان الأخرى	27	2.7
14	هوايات أوقات الفراغ	24	2.4
15	مجالات أُخرى	50	5

يتضح من الجدول أعلاه مبدأ الانتقائية التي دعا إليها القاسمي عن طريق النسب التي خصصها لكل موضوع، كما يتبين مدى تنوع موضوعات المدوّنة فالمعجم التاريخي يتناول اللغة من جميع مصادرها القديمة والحديثة، وأنّ النسبة الأكبر ستكون للدين الإسلامي والأدب ولم يغفل بقية الفنون والعلوم والأديان الأُخرى بل شمل حتى هوايات أوقات الفراغ.

وقد خصص للغة الإعلام نسبة 15% من مجموع موضوعات المدوّنة؛ لأنـّها تمثل اللغة الحية المتداولة ووسيلة من وسائل الاتصال وهي أقرب إلى الواقع اللغوي، وهو ما يدعو إليه القاسمي أن تتناول اللغة الحية في سياقاتها المختلفة، فوسائل الإعلام باعتبارها تتعامل يوميا مع المستجدات في كل المجالات العلمية والأدبية والفنية واللغوية، ويمكن العودة إلى الصحف والمجلات والإفادة من المصطلحات الجديدة التي تزخر بها. كذلك فإنَّ موادها لا تخضع للتنقيح والتصحيح في كثير من الأحيان ويستطيع الباحث الوقوف على الأخطاء الشائعة في الإملاء والنحو والصرف والدلالة على الرغم من وجود القواعد الصحيحة (القاسمي، 2014، ينظر:

347). وقد ذكر روبيرمارتان أنَّ المدوّنة يجب ان تعكس واقعا متناسقا للغة أدبية أو لغة تقنية من التقنيات أو لغة صحف هزلية، أوّلها من الاتساع ما يجعلها صورة لما في اللسان من تنوع محبب (مارتان، 2007، ينظر: 34).

وقد خصص للحاسوب ومواد الشبكة نسبة 2.9 وهي نسبة ضئيلة جدا؛ لأنّ هذه التقنية ما زالت مبكرة وفي طور النمو لاسيما في الوطن العربي فإنَّ عدم انتشار الثقافة الإلكترونية في البلدان العربية أدى إلى الجهل بها وبوجود المدونات على شبكة الأنترنت.

2- التوزيع التاريخي:

في التوزيع التاريخي يقترح القاسمي ان تكون تركيبة المعجم التاريخي من حيث العصور على الوجه الآتي (القاسمي، 2014: 347):

ت	العصر	عدد الكلمات بالمليون	% من المجموع
1	العصر الإسلامي	150	%15
2	العصر الجاهلي	200	%20
3	العصر العباسي	200	%20
4	العصر الوسيط	150	%15
5	العصر الحديث	300	%30

إذ يتفق الباحثون على أنّ اللغة لا يمكن دراستها إلاَّ عن طريق تقسيمها إلى عصور تبعا للحقب الزمنية التي تمر بها. وانطلاقًا من المنهج الاجتماعي الذي يرى أنّ اللغة بنت المجتمع وهي تتأثّر بالأحوال الثقافية والاجتماعية التي تمر بها، فالفكر الإبداعي وغير الإبداعي هو من صنع مرحلة اقتصادية

واجتماعية في لحظة تاريخية مُعيَّنة (العبيدي، 2004، ينظر: 210-212). فقد قسّم علي القاسمي المراحل التي مرت بها اللغة على خمسة عصور، وكما مبين في الجدول أعلاه، وقد خصص للعصر الجاهلي نسبة 15% من مجموع عصور اللغة؛ لأنّ العرب في العصر الجاهلي، لم يعتنوا بجمع لغتهم وتدوينها لأنـَّهم كانوا أُمّيين، ولم تكن حاجتهم داعية إلى تأليف المعاجم إلى أن جاء الإسلام فدعت الحاجة إلى تدوين لغتهم لأجل فهم بعض المعاني ذات الاصطلاح الجديد التي استغلقت عليهم (القاسمي، 2014، ينظر: 347).

وقد جعل للعصر الإسلامي والعصر العباسي النسبة نفسها وهي 20% ففي العصر الإسلامي بدأت ملامح الحضارة الإسلامية بالظهور حتى بلغت أوجها في العصر العباسي، ووصلت الحياة الفكرية إلى ذروة التطور والازدهار وانتشرت المعارف ودونت الكتب وانشئت المكتبات، وبدأت ملامح الاتصال الثقافي بين الحضارات بالظهور وعرفت الترجمة وأقبل العرب على الثقافات المتنوعة.

أمَّا العصر الوسيط فقد خصص له نسبة 15% وهي نسبة قليلة مقارنة ببقية العصور لأنَّ العصر الوسيط «وصف يحايث مستوى الإبداع الأدبي ومحتواه المعرفي فلا يرتقي إنتاج هذه الحقبة إلى مستوى أرفع ولا ينحني إلى نقيضه، فهو بذلك وسط بينهما ويحايث الوصف العنصر الزمني» (الكبيسي، 1990: 75).

أمَّا العصر الحديث فقد خصص له نسبة 30% وقد أعطى أهمية كبيرة لهذا العصر وقد علل ذلك بقوله «لبيان التطور اللغوي» (القاسمي، 2014: 347) وقد استدل بقول فيشر في مقدمة معجمه «يجب أن يعنى ببدء تطور الكلمة، كذلك من واجب اللغوي العناية بآخر تطورها» (فيشر، 1967:

23). فاذا جمعنا بدايات اللغة العربية (الجاهلي والإسلامي) ستكون النسبة 35%، فقد كان القاسمي دقيقا في خطته مما يدل على سعة علمه واتساع افقه فقد اعتنى ببداية تطور اللغة العربية كما اعتنى بآخرها.

3- التوزيع الجغرافي:

في التوزيع الجغرافي يقترح القاسمي الجدول الآتي (القاسمي، 2014: 348):

ت	المنطقة الجغرافية	عدد الكلمات بالمليون	% من المجموع
1	الجزيرة العربية بما فيها (اليمن)	250	25
2	العراق والشام	250	25
3	مصر والسودان وليبيا	250	25
4	المغرب العربي والأندلس	250	25

الجدول رقم (2)

«أمّا النصوص العربية للمؤلفين الأفارقة والآسيويين والأوربيين مثل مؤلفات أحمد بابا التمبكستي (مالي)، وأبي الحسن الندوي (الهند) فتلحق بالمنطقة الأقرب جغرافيا إلى المؤلف، ويتبع المنهج ذاته بخصوص نصوص الجاليات العربية في المهجر» (القاسمي، 2014: 348).

عند تصفح كتب التراث نجد أنَّ اعتناء العرب باللغة العربية الفصيحة قد شغلهم عن البحث في بقية اللهجات واعتبروا أنَّ أي تغير أو تطور يصيب اللغة هو فساد لها، لذلك فقد وضعوا بعض الحدود الجغرافية لأخذ اللغة

«وقال أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى بالألفاظ والحروف: كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم واسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم» (السيوطي، 1998: 167/1). وقد انصبّ عنايتهم بقضية اختلاط العرب بالأعاجم وتأثيره بالسليقة العربية.

وبالنظر إلى الجدول رقم (2) يتبين أنّ اللغة العربية الفصيحة لم تعد تقتصر على مكان محدد، بل تشمل جميع أماكن وجودها في العالم حتى الأمريكيتين وبذلك تخطت الحدود والفواصل والقيود التي فرضها اللغويون وبالغوا فيها وقصروها على جزيرة العرب وبعض تخومها، كذلك نجد عن طريق الجدول المقترح أنّ اللغة العربية الفصيحة لا تقتصر على العرب فقط بل وتشمل الناطقين بالعربية من اللغات الأخرى.

إنَّ المعجم التاريخي للغة العربية قد وسم بالشمولية، فهو يغطي اللغة الفصيحة من جوانبها المختلفة زمانا ومكانا وموضوعا، فقد تجاوز عصور الاحتجاج ليشمل اللغة الفصيحة من الجاهلية إلى العصر الحديث، وكذلك فقد ألغى الحدود الجغرافية التي وضعها اللغويون في تحديد بعض القبائل التي أخذت عنهم اللغة ليشمل اللغة في جميع بقاع العالم، وفي موضوعاته فقد تخطى ما كان مقتصرًا على لغة القرآن والحديث الشريف والأدب ليشمل جميع الموضوعات الثقافية والعلمية والفنية والاجتماعية والسياسية.

ثامنًا: صعوبات إنشاء مدوّنة المعجم التاريخي للغة العربية:

على الرغم من الإيجابيات الي تتمتع بها مدوّنة المعجم التاريخي إلاَّ أنَّ هناك بعض الصعوبات التي تحول دون إنجازها وقد حدد الدكتور علي القاسمي هذه الصعوبات بما يأتي (القاسمي، 2014، ينظر: 327-328):

1- عدم توافر المال اللازم لتصنيف المعجم المطلوب.

2- عدم توافر العناصر البشرية اللازمة التي لها دراية بإنشاء المدونات وبصناعة المعجم المبينة على البحث بالمدوّنة، فضلا عن ندرة المختصين باللغات العروبية وباللغات الأخرى التي تفاعلت مع العربية خلال عمرها المديد.

3- عدم وجود مدونات بالمعنى الصحيح، فالمدونات العربية الموجودة قليلة ولا تتوافر على الشروط المطلوبة، وجمعت لأغراض تجارية، ولم تخضع للمراجعة الدقيقة للتخلص من الأخطاء الطباعية.

4- عدم توافر نظام جيد للنسخ الضوئي للنصوص العربية، فتجميع نصوص مدوّنة جديدة وتخزينها بالحاسوب يتطلبان جهودا جبارة، وضرورة توصل الحاسوبين إلى نظام جيد للنسخ الضوئي.

5- عدم توافر محركات بحث بالعربية في الأسوق التجارية وهذا يتطلب كثيرًا من البحث في المعالجة الآلية للغة العربية.

إنَّ هذه الصعوبات تمثل عقبة كبيرة أمام صناعة المعجم التاريخي، فالمدوّنة الحاسوبية هي قاعدة صناعة المعجم، وعليه ينبغي أن تتضافر الجهود، وأن تسخر الإمكانات اللازمة، للانتقال بالمعجم التاريخي من حيز التنظير إلى التطبيق الفعلي فكلما طالت مدة إنجازه يغلب الظن بأنَّ هذا المعجم مجرد رؤى خيالية. فمعاجم اللغات العالمية قد صنفت في القرن التاسع عشر ومعجم أكسفورد للغة الإنكليزية قد استغرق في تأليفه (70) عاما، وانطلقوا في جمع مدوّنة المعجم من اللغة اللاتينية التي انقرضت

واستحالت، أمّا اللغة العربية فما زالت حية ونتداولها إلى عصرنا هذا، فالأمل مازال يلوح في الأفق بصناعة معجم تاريخي للغة العربية الذي يمثل هوية كل عربي غيور على لغته.

ثبت المصادر:

- ابن منظور، أبو الفضل جمال بن مُحمّد بن مكرم (711هـ). لسان العرب. دار صادر. بيروت. 1968م.

- أبو شريفة ولافي وغطاشة، عبدالقادر، حسين. داوود. علم الدلالة والمعجم العربي. دار الفكر للنشر. عمان. الأردن. ط1. 1409هـ-1989م.

- استيتة، سمير شريف. اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج. عالم الكتب الحديث. القاهرة. ط1. 2005م.

- أورو وديشان وكولوغلي، سليفان، جاك، جمال، فلسفة اللغة. ترجمة: د. بسام بركة. مركز دراسات الوحدة العربية. ط1. بيروت. 2012م.

- الحمزاوي، مُحمّد رشاد. من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً. منشورات المعهد القومي لعلوم التربية. تونس. 1983م.

- الخولي، مُحمّد عليّ. معجم علم اللغة النظري. مكتبة لبنان. بيروت. 1983م.

- دورتيه، جان فرانسوا. معجم العلوم الإنسانية. ترجمة: د. جورج كتورة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. 1432هـ-2011م.

- الراجحي، عبده. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج. دار النهضة العربية. بيروت لبنان. 1979م.

- زكريا، ميشال. الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. ط2. 1406هـ. 1986م.

- زوين، عليّ. منهج البحث اللُغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث. دار الشؤون الثقافية العامّة. بغداد. ط1. 1986م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال الدين (ت911هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1418هـ 1998م.

- الشافعي والراوي، د. عبدالمحسن، د. بشرى. إشكالية حرية التعبير والمسؤولية المهنية والاجتماعية للمدوّنات الإلكترونية. مجلة الباحث الإعلامي. ع11-12. كانون الثاني 2014.

- العبيدي، رشيد عبدالرحمن. العربية ومناهج البحث اللُغويّ المعاصر. مطبعة المجمع العلمي العراقي. 1420هـ-2004م.

- غلفان والملاخ وإسماعيل، د. مصطفى، د. مُحمّد، د. حافظ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى النموذج الأدنوي مفاهيم وأمثلة. عالم الكتب الحديث. أربد. الأردن. 1431هـ-2010م.

- فيشر. المعجم اللُغويّ التاريخي. مجمع اللغة العربية القاهرة. هيئة المطابع الأميرية. ط1. 1387هـ-1967م.

- القاسمي، عليّ. صناعة المعجم التاريخي للغة العربية. مكتبة لبنان ناشرون. ط1. 2014م.

- القاسمي، عليّ. علم المصطلح. أُسسه النظرية وتطبيقاته العملية. مكتبة لبنان ناشرون. 2008م.

- القاسمي، عليّ. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. لبنان ناشرون. 2003م.

- الكبيسي، د. عمران. قراءة في ملامح العصر الوسيط وأساليبه الأدبية. مجلة المورد. مجلد 19. ع2. 1990م.

- مارتان، روبير. مدخل لفهم اللسانيات. ترجمة: عبدالقادر المهيري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1. 2007م

- مجموعة مؤلّفين. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث. مكتبة لبنان. ط1. 1983م.

- مدكور، د. عمرو. بحث (المعجم بين الورقية والحاسوبية) في كتاب المؤتمر الأوّل لأبحاث الندوة الدولية (اللغة العربية وآدابها نظرة معاصرة)

- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة. ط4. مكتبة الشروق الدولية. 1425هـ-2004م.

- موسى، نهاد. العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية. دار فارس للنشر والتوزيع. عمان. 2000م.

- نصّار، حسين. دراسات لُغويّة. دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. ط2. 1406هـ-1986م.

- الوردي، زكي حسن. صحافة المدوّنات الإلكترونية على الأنترنت عرض وتحليل. مجلة الباحث الإعلامي. ع3. حزيران 2007م.

- الوعر، مازن. دراسات لسانية تطبيقية. دار طلاس. دمشق. سوريا. ط1. 1989م.

- الوعر، مازن. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث. دار طلاس. دمشق. ط1. 1988م.